مجلة العلوم الاجتماعية ـ المجلد ١٤ ـ العدد ١ ـ ربيع ١٩٨٦ (الصفحات من ٢١٥ ـ ٢٣٣)

تطوّر الهوية السياسية للفلسطينيين في إسرائيل

محمود ميعاري
دائرة الاجتماع ـ جامعة بيرزيت

تهدف هذه المقالة إلى دراسة الهوية السياسية للفلسطينيين في إسرائيل وتركز على تطور هذه الهوية خلال ثلاث مراحل رئيسية : ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ و ١٩٧٣ وحتى اليوم . كما تتعرض المقالة إلى تغير الهوية في كل مرحلة .

قبل الخوض في جوهر الموضوع من الضروري تعريف القارىء بمجتمع هذه الدراسة . لقد كان من نتائج حرب ١٩٤٨ أن أقيمت إسرائيل في ١٥ أيار من تلك السنة على أكثر من ٧٨٪ مساحة فلسطين وأن نزح عن تلك المناطق التي احتلتها اسرائيل حوالي ٧٥٪ سكانها الفلسطينيين . لقد بلغ عدد الفلسطينيين الذين بقوا في إسرائيل ١٦٠ر٠٠٠ نسمة (١٣ر٦٪ من مجموع السكان في إسرائيل) في نهاية ١٩٤٩ ووصل إلى حوالي ٦٠٠ر٠٠٠ نسمة (١٥٪ من مجموع السكان) سنة ١٩٨٣[1] . اما بالنسبة للسياسة الإسرائيلية تجاه هذا الجزء من الشعب الفلسطيني ، فقد عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على سلخ المواطنين الفلسطينيين عن بقية شعبهم الفلسطيني وأمتهم العربية ولم تعترف بهم جماعة (أو حتى أقلية) قومية بل اعتبرتهم "الأقليات" أو "غير اليهود" أو "الطوائف غير اليهودية" أو ، في أحسن الاحوال ، "العرب والدروز" .

وهكذا فإن أهم القضايا التي يواجهها الفلسطينيون في إسرائيل هي الهوية (Identity) التي عرّفها ميلر على أنها "نمط الصفات الممكن ملاحظتها أو استنتاجها والتي تعرّف الشخص لنفسه وللآخرين" . لقد ميّز ميلر بين الهوية العامة الموضوعية (Objective public Identity) ، أي الشخص كما يراه الآخرون ، والهوية العامة الذاتية (Subjective Public Indentity) ، أي الشخص كما يتصور أن الآخرين يرونه ، وهوية الذات (Self

(Indentity أي الشخص كما يرى نفسه .[٢] هذه الدراسة تتناول هوية الذات ، حسب تعريف ميلر ، للفلسطينيين في اسرائيل وتركز على الجانب السياسي لها .

بالإضافة إلى العائلة والطائفة الدينية والمنطقة الجغرافية ينتمي الفلسطينيون في إسرائيل ، موضوعيا ، إلى ثلاث دوائر مهمة وهي الشعب الفلسطيني والأمة العربية وإسرائيل . في حين أن الانتماء إلى الأمة العربية ، وخصوصا الى الشعب الفلسطيني ، يرجع إلى التاريخ المشترك واللغة والثقافة وربما الطموحات السياسية المشتركة ، فإن "انتماءهم" إلى إسرائيل يرجع لكونهم ، قانونيا ، مواطنين في إسرائيل ويحملون الجنسية الإسرائيلية ، على الرغم من أن إسرائيل هي دولة ذات طابع يهودي ـ صهيوني .[٣] من هنا فإن الهوية السياسية للمواطن الفلسطيني في إسرائيل تتكون من ثلاث هويات فرعية هي :

الهوية الوطنية : شعور الانتماء إلى الشعب الفلسطيني .
الهوية القومية : شعور الانتماء إلى الأمة العربية .
الهوية المدنية : شعور المواطنة في إسرائيل .

كما أن هوية أي شخص أو جماعة هي عرضة للتغير من فترة إلى أخرى ، كذلك فإن هوية الفلسطينيين في إسرائيل قد مرت خلال ثلاث مراحل رئيسية ، تميزت كل مرحلة بسيطرة إحدى (أو تركيبة من) الهويات الفرعية المذكوره .
أما هذه المراحل فهي :

١ ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ (عربي إسرائيلي)
٢ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ (عربي)
٣ ـ١٩٧٣ وحتى اليوم (عربي فلسطيني)

١ ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ (عربي إسرائيلي)

كان من أهم نتائج حرب ١٩٤٨ عزل الفلسطينيين العرب الذين بقوا في إسرائيل عن العالم العربي وخصوصا عن بقية شعبهم الفلسطيني في الضفة الغربية ، التي ضمت فيما بعد إلى الأردن ، وقطاع غزة ، الذي وضع تحت الإدارة المصرية . كذلك فقد كان هؤلاء الفلسطينيون بدون قيادة قطرية ، وذلك لأن النخب الاجتماعية المختلفة (السياسية ، الاقتصادية ، التعليمية والدينية) المتمركزة في المدن كانت قد نزحت خلال الحرب .

منذ البداية شددت السلطات الإسرائيلية سيطرتها على المواطنين العرب . أما أهم الوسائل التي استخدمتها السلطات من أجل ذلك فقد كان الحكم العسكري الذي استمر حتى سنة ١٩٦٦ . بموجب الأنظمة العسكرية قسّمت القرى العربية إلى عدد من "المناطق

المغلقة" ومنع السكان العرب من التنقل بين هذه المناطق إلا بتصريح من الحاكم العسكري . لقد أضعف الحكم العسكري الاتصال بين القرى العربية ومنع ظهور أي تنظيم عربي مستقل . وبالإضافة إلى فرض الحكم العسكري فقد طبقت إسرائيل على المواطنين العرب نفس السياسة الاستعمارية القديمة ، سياسة "فرق تسد" . لقد شجعت الانقسامات الداخلية ودعمت الهويات التقليدية الضيقة (المحلية ، الحمائلية والدينية) بهدف إضعاف ، أو إعاقة نمو الهوية الوطنية أولا والهوية القومية ثانيا . إن سياسة "فرق تسد" كانت وراء الأنظمة العسكرية المختلفة وخاصة تقسيم القرى العربية إلى "مناطق مغلقة" . كذلك تنعكس هذه السياسة في ممارسات الأحزاب الصهيونية في الوسط العربي ، حيث تقوم هذه الأحزاب وخاصة حزب مباي (فيما بعد "العمل" ثم "التجمع") بتشكيل قوائم عربية مرتبطة بها لخوض انتخابات الكنيست . أما المرشحون في هذه القوائم فهم كما لاحظ لانداو" مهمون فقط في إطارهم المحلي والعائلي ، ومدعومون من قبل الأحزاب السياسية اليهودية لأغراض صيد الأصوات فقط . فأهميتهم ليست واسعة قطريا" .[٤] كذلك فإن تشكيل أكثر من قائمة عربية واحدة[٥] مرتبطة مع نفس الحزب قد "أصاب عصفورين بحجر واحد" : اصطياد الأصوات العربية وتعزيز الانقسامات الداخلية .

بالإضافة إلى تعزيز الفرقة بين السكان العرب في المناطق المختلفة وبين الحمائل في نفس المنطقة أو القرية فقد عملت السلطات على تعزيز الانقسامات الطائفية أيضا . إن الاعتراف بالدروز كطائفة دينية مستقلة سنة ١٩٥٧ وإقامة محاكم درزية منفصلة سنة ١٩٦٢ وكذلك تشكيل قوائم عربية على أسس طائفية[٦] هي مؤشرات لهذه السياسة .

مما تقدم يتضح أن السلطات الإسرائيلية ، وفي مقدمتها الحكم العسكري ، قد انتهجت سياسة "فرق تسد" بين السكان العرب ، فعززت الهويات التقليدية الضيقة وشجعت شعور الانتماء الى الحمولة والطائفة والمنطقة الجغرافية . إن سياسة تعزيز الانقسامات الداخلية ، بالاضافة الى عزل الفلسطينيين في اسرائيل عن بقية الشعب الفلسطيني والامة العربية وكذلك الشعور باليأس والاحباط عند أبناء هذه الاقلية بسبب "نكبة ١٩٤٨" ، قد عزّزت الولاء إلى دوائر انتماء ضيقة وخصوصا الحمولة . أما نمو هذه الهويات الضيقة فقد أضعف الهويتين الأكثر شمولية ، الهوية الوطنية والهوية القومية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ذلك قد زاد من تقبل المواطنين العرب للأمر الواقع ، بما في ذلك رؤية أنفسهم من خلال منظار السلطة الحاكمة . لو سئل المواطنون العرب عن هويتهم في هذه الفترة لأجاب قسم كبير منهم أنهم "عرب إسرائيليون" أو حتى "اسرائيليون" .

٢ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ (عربي)

مع أن الهوية الاسرائيلية أو "العربية ـ الإسرائيلية" ، أي الرغبة في الاندماج في المجتمع الاسرائيلي ، قد سيطرت بشكل عام في المرحلة الاولى ، إلا أنه في أواخر هذه المرحلة ، ومع تصاعد الحركة القومية العربية بزعامة الرئيس المصري جمال عبد الناصر ، بدأت تتجدد بين الفلسطينيين العرب في أسرائيل الهوية القومية العربية . تمثل ذلك بظهور حركة "الأرض" في أوائل الستينات ، وهي حركة قومية عربية آمنت بالوحدة العربية والناصرية ودعت إلى أن "للفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم في نطاق الأماني العليا للأمة العربية" . لقد فسّر حبيب قهوجي ، وهو أحد مؤسسي الحركة ، العبارة الأخيرة إذ قال : "كنا نقصد بعبارة (في نطاق الأماني العليا للأمة العربية) أن نؤكد على وحدة المصير بين شتى أقطار الوطن العربي وعلى قومية القضية ، فالقضية في رأينا فلسطينية بقدر ما هي قومية وقومية بقدر ما هي فلسطينية" .[٧] أما بالنسبة لمصير حركة الأرض فقد أصدر وزير الدفاع الاسرائيلي أمرا بحلها سنة ١٩٦٥ حال إعلانها عن نفسها كتنظيم سياسي .

مع ابتداء المرحلة الثانية تعمقت الهوية القومية للعرب في إسرائيل بفضل حدثين رئيسيين هما إلغاء الحكم العسكري سنة ١٩٦٦ ونشوب حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، بالنسبة للحكم العسكري فقد كان إلغاؤه جزءاً من سياسة معلنة جديدة تهدف إلى "دمج" المواطنين العرب في حياة الدولة . إن الغاء الحكم العسكري ، وخصوصا قيود التنقل بين القرى العربية ، قد نشّط الاتصال والتفاعل الاجتماعي بين القطاعات المختلفة مما زاد من وعي المواطنين العرب لمشاكلهم المشتركة وخصوصا مصادرة الأراضي وسياسة التمييز القومي التي تمارسها السلطات ضدهم في الميادين المختلفة . أما حرب حزيران سنة ١٩٦٧ فقد أنهت العزلة التي فرضت على العرب في إسرائيل منذ ١٩٤٨ إذا أنها فتحت الطريق أمامهم للاختلاط مع أبناء شعبهم في المناطق المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) وللتعرف من خلال هؤلاء على التيارات الفكرية السائدة في العالم العربي .

إن ازدياد الاتصال والتفاعل بين العرب في إسرائيل وكذلك بينهم وبين بقية أبناء شعبهم وأمتهم قد أنعش هويتهم الوطنية الفلسطينية وعمّق هويتهم القومية العربية . في بحث أجري قبل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وجد أن ترتيب الهويات بالنسبة للعرب في إسرائيل قبل الحرب كان (من الأقوى الى الأضعف) : إسرائيلي ، عربي ـ إسرائيلي ، عربي وأخيرا فلسطيني . أما بعد الحرب فقد أصبح الترتيب : عربي ، عربي ـ إسرائيلي ، فلسطيني ، وأخيرا إسرائيلي .[٨]

إن هيمنة الهوية القومية في هذه المرحلة قد رافقها انتعاش تدريجي في الهوية الوطنية الفلسطينية . لقد عبّر شموئيل طوليدانو ، مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، عن

هذا التحول في هوية العرب في إسرائيل عندما صرح في ديسمبر ١٩٦٩ : "حسب تقديرنا يتطور الآن خلاف في المراكز السكانية العربية بين عرب وطنيين وبين عناصر إيجابية (أي متعاونة ـ المؤلف) ٠ ٠ ٠ من الآن فصاعدا ، ستعمل الحكومة وأجهزة الدولة المختلفة كل ما في وسعها لمساعدة هذه العناصر الإيجابية ، ومن ناحية أخرى سنحارب حتى النهاية كل القوى الوطنية . . . سنعمل على إيجاد وضع فيه يكون العربي الوطني منبوذا في قريته" .[٩]

إن كان المواطنون العرب في المرحلة الأولى يعرفون أنفسهم أولا كإسرائيليين أو عرب ـ إسرائيليين رغبة منهم في إظهار المشترك بينهم وبين السكان اليهود وتسهيل اندماجهم في المجتمع الاسرائيلي ، فقد تحوّلوا في هذه المرحلة إلى تعريف أنفسهم كعرب في الدرجة الأولى والتركيز على انتمائهم المميّز لإبراز خصوصيتهم القومية واختلافهم عن الأغلبية اليهودية في إسرائيل . كذلك فقد بدأ ينتعش في هذه المرحلة الانتماء الفلسطيني متمثلا بانضمام عدد من الشباب العرب إلى حركة المقاومة واعتقال بضع مئات آخرين بتهم أمنية وتصريح البعض علانية أنهم جزء من الشعب العربي الفلسطيني .

٣ ـ بعد ١٩٧٣ (عربي فلسطيني)

إن الهوية الوطنية الفلسطينية التي انتعشت في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ قد تعززت بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ . لقد حدث ذلك بفضل تطورات خارجية وأخرى داخلية . أما اهم التطورات الخارجية فهي :

أ ـ حرب اكتوبر التي لم تنته بفوز إسرائيلي ساحق ، وإنما بنوع من التعادل ، وذلك على عكس الحروب السابقة التي شنتها إسرائيل ضد الدول العربية . لقد حطمت هذه الحرب الأسطورة القائلة بأن "الجيش الاسرائيلي لا يقهر" وجددت ثقة العرب بأنفسهم وبقدرتهم .

ب ـ اتساع الاعتراف الدولي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد لهذا الشعب . لقد انعكس هذا الاعتراف بعدد من القرارات المؤيدة التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة ومنها قبول منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٤ عضوا مراقبا في الامم المتحدة .

جـ ـ المجازر التي ارتكبها بعض العرب ضد الشعب الفلسطيني . لقد بدأت هذه المجازر في "أيلول الأسود" ١٩٧٠ في الأردن ثم انتقلت منذ منتصف السبعينات إلى لبنان حيث نفذت عدة مجازر ضد الفلسطينيين كان أبشعها مجازر صبرا وشاتيلا ١٩٨٢ التي ارتكبتها عصابات الكتائب بدعم من الجيش الإسرائيلي . إن تخاذل الأنظمة العربية ووقوفها موقف المتفرج من هذه المجازر ومن الاعتداءات الإسرائيلية

المتكررة على الفلسطينيين في لبنان قد عمق بين العرب في إسرائيل شعور الانتماء إلى الشعب العربي الفلسطيني .

د ـ تشدد السلطات بتطبيق سياسة "اليد الحديدية" ضد جماهير الشعب الفلسطيني . لقد تمثلت هذه السياسة بتطبيق العقوبات الجماعية وهدم البيوت والقمع والإبعاد في المناطق المحتلة وبتصعيد الاعتداءات الإسرائيلية على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان . من المعروف أن هذه السياسة قد انتهجتها حكومات التجمع "العمالي" ثم تشددت بتطبيقها حكومات التكتل اليميني منذ ١٩٧٧ ووصلت ذروتها في الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان منذ ١٩٨٢ وما تبع ذلك من ممارسات عدوانية ضد الشعب الفلسطيني هناك .

أما بالنسبة للتطورات الداخلية ، وهي تطورات تتعلق مباشرة بالفلسطينيين في إسرائيل ، فأهمها تصاعد تغيّر البنية الطبقية لهذا الجزء من الشعب الفلسطيني ، إحياء الحكومة لمشروع تهويد الجليل ، أو "تطوير" الجليل كما يحلو للمسؤولين الاسرائيليين تسميته ، وظهور تنظيمات قطرية متعددة .

أ ـ تغير البنية الطبقية :

إن أهم التغيرات التي حدثت في البنية الطبقية للفلسطينيين العرب في اسرائيل هو تحول المزارعين العرب إلى طبقة عاملة ، هذا التحول بدأ منذ أواخر الفترة الأولى إلا أنه تصاعد في الفترة الأخيرة ، ففي حين أن نسبة العاملين في الزراعة من مجموع الأيدي العاملة العربية كانت ٥٠٪ سنة ١٩٥٥ انخفضت هذه النسبة الى ٤٠٪ سنة ١٩٦٥ و ٢٠٪ سنة ١٩٧٣ و ١٠٪ سنة ١٩٨٣ . بالمقابل ارتفعت نسب العاملين العرب في القطاعات الأخرى ولا سيما في البناء والصناعة والمواصلات حيث ارتفعت نسبة العمال العرب في هذه القطاعات معاً من حوالي ٣٠٪ سنة ١٩٥٥ الى ٤٨٪ سنة ١٩٨٣ . كذلك ارتفعت نسبة العمال العرب ، المصنفين في الإحصائيات الرسمية "فنيين" أو غير فنيين ، حتى وصلت ٥٣٪ من مجموع الأيدي العاملة العربية سنة ١٩٨٣ .[١٠] لقد تحول أغلب المزارعين العرب إلى عمال في المدن اليهودية بفضل سببين رئيسيين :

السبب الاول : هو تقلص حصة الأسرة الواحدة من الأراضي الصالحة للزراعة بسبب مصادرة الحكومة للقسم الأكبر من الأراضي العربية ، بالإضافة الى تفتت الملكية الناتج عن تقسيمها بين الإخوة الورثة .

والسبب الثاني : هو انخفاض الانتاج الزراعي بسبب تخلف الزراعة العربية التي ما زالت في الأساس زراعة موسمية وبعلية ، ففي الفترة ١٩٧٥/١٩٧٦ كان معدل إنتاج المزارع العربي حوالي ١٦٪ فقط من معدل إنتاج المزارع اليهودي وكانت زراعة الري

تشكل ٨٪ من أراضي المزارعين العرب مقابل ٤٣٪ من أرضي المزارعين اليهود .[١١] لقد عملت الحكومة الإسرائيلية والمؤسسات الصهيونية الأخرى ، وخصوصا الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي ، على إبقاء الزراعة العربية متخلفة ، فقد حرمت المزارعين العرب من المساعدات المالية والفنية المختلفة التي تقدمها للمزارعين اليهود ، وفي كثير من التجمعات العربية منعت المزارعين العرب من استعمال الري في الزراعة .[١٢]

إن تحوّل المزارعين العرب إلى عمال قد أضعف القيم التقليدية التي كانت سائدة ، فتفككت الأسرة الممتدة وفقد وجهاء الحمائل والزعماء التقليديون كثيرا من سيطرتهم وضعف الانتماء إلى دوائر محلية ضيقة كالحمولة والطائفة والقرية وتعزّز بالمقابل الانتماء إلى الوطن الواسع . كذلك فإن استيعاب العمال العرب في المدن اليهودية قد ساهم في تعزيز هويتهم الوطنية وذلك عن طريق اختلاطهم اليومي مع اليهود وتعرضهم إلى بعض مظاهر التمييز العنصري ضد العرب على الصعيدين الرسمي والشعبي مثل ملاحقة الشرطة لهم مع تصاعد أعمال المقاومة الفلسطينية وازدياد التوتر على الحدود ، والفروق في الاجور وظروف العمل بشكل عام بينهم وبين العمال اليهود ، وسماعهم المتكرر لعبارات نابية معادية للعرب من بعض اليهود (مثل "عربوش" ، "عربي قذر"و" عمل عربي") .

ب ـ مشروع تهويد الجليل :

بعد قيام إسرائيل تركز ٥٨٪ من العرب الباقين فيها في منطقة الجليل . كذلك شكل المواطنون العرب أغلبية (٦٣٪) في هذه المنطقة .[١٣] هذه الحقيقة أقلقت السلطات الإسرائيلية التي رأت في عروبة الجليل "خطرا ديمغرافيا" على مستقبل "دولة اليهود" . لذلك فقد أقرّت السلطات منذ أواسط الخمسينات مشروع تهويد الجليل الذي هدف إلى تغيير التركيب الديمغرافي لسكان الجليل بحيث يصبح اليهود أغلبية في المنطقة . لتنفيذ هذا المشروع قامت السلطات الإسرائيلية بمصادرة مساحات كبيرة من الأراضي العربية وبناء العديد من المستوطنات عليها كان أهمها ثلاث مدن بنيت وسط تجمعات عربية مكتظة . ففي أواسط الخمسينات بنيت "الناصرة العليا" بجوار مدينة الناصرة العربية وفي الستينات بنيت "معلوت" بجانب قرية ترشيحا و "كرمئيل" وسط تجمع عربي يضم قرى الرامة ونحف والبعنة ودير الأسد ومجد الكروم .

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ حدث تراجع مؤقت بتطبيق مشروع تهويد الجليل بسبب توجيه الجهود الاستيطانية إلى المناطق المحتلة حديثا (الضفة الغربية وقطاع غزة) . لكن السلطات جدّدت منذ أواسط السبعينات نشاطها الاستيطاني في الداخل فأحيت مشروع تهويد الجليل وأعلنت عن مصادرة ، أو عن نيتها مصادرة ، مساحات كبيرة من الأراضي العربية . وفي شهر شباط ١٩٧٦ تلقى رؤساء المجالس المحلية لقرى سخنين وعرابة ودير

حنا رسائل متشابهة من شرطة المنطقة تنصّ على منع السكان من الدخول إلى منطقة "الملّ" ، المعروفة بالقاموس العسكري "منطقة رقم ٩" ، الأمر الذي يعني اقتطاع ما مساحته ١٣٥٠٠ دونم بعضها مزروعة بالمزروعات الشتوية وبعضها مشجرة .[١٤] أمام خطر المصادرة والتهويد زاد تضامن المواطنين العرب وتعزّز انتماؤهم إلى الشعب العربي الفلسطيني ، فبعد وقت قصير من تبليغ أهالي سخنين وعرابة ودير حنا بنيّة الحكومة مصادرة أراضيهم في منطقة "الملّ" تحوّلت القرى الثلاث ، كما سنرى ، إلى أهم مراكز الانتفاضة في يوم "الأرض" .

بالنسبة لمدى نجاح السلطات في تهويد الجليل كان ذلك نجاحا محدودا . على الرغم من بناء عشرات المستوطنات في الجليل إلا أن العرب ما زالوا يشكلون نصف سكانه بفضل نسبة التكاثر الطبيعي العالية بين العرب وعزوف اليهود عن العيش في مناطق ريفية ، أو شبه ريفية . خصوصا إذا كانت مجاورة للعرب .

جـ ـ ظهور تنظيمات قطرية :

منذ أوائل السبعينات بدأت تتبلور قيادات وتنظيمات قطرية بين الفلسطينيين العرب في اسرائيل تدافع عن حقوقهم وتقاوم سياسة التمييز العنصري التي تمارسها السلطات ضدهم . يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين لهذه التنظيمات حسب توجهاتها الأيديولوجية : تنظيمات اندماجية وأخرى غير اندماجية .

التنظيمات الاندماجية تعترف بدولة إسرائيل ومؤسساتها وقوانينها ، تعتبر المواطنين العرب جزءاً من هذه الدولة وتصرّ على ضرورة بقائهم فيها ، وتهدف إلى دمجهم في حياة الدولة عن طريق منحهم حقوق "قومية ومدنية" متساوية . لتحقيق هدف الاندماج فإن هذه التنظيمات تدعو إلى إلغاء كل مظاهر التمييز العنصري ضد الفلسطينيين العرب في إسرائيل . إن أهم هذه التنظيمات الاندماجية هي لجنة رؤساء السلطات المحلية العربية والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواه .

تأسست لجنة رؤساء السلطات المحلية العربية سنة ١٩٧٠ لمعالجة القضايا المحلية في الدرجة الأولى ، ولكن سرعان ما اتسعت اهتماماتها لتشمل القضايا القطرية ، أي المشاكل الاساسية والمشتركة التي يعاني منها المواطنون العرب . لقد قابلت اللجنة في ١٩٧٦/٥/٢٤ رئيس الحكومة إسحق رابين وقدمت له مذكرة طالبت فيها بتحقيق المساواة التامة بالنسبة للمواطنين العرب بما في ذلك الاعتراف بهم أقلية قومية . كذلك تضمنت المذكرة إلغاء أوامر مصادرة الأراضي ، إقامة لجنة تحقيق في أحداث يوم الأرض ، تخصيص ميزانيات أكبر لشؤون التعليم والتطوير في القرى العربية ، وضع ممتلكات الوقف

الإسلامي تحت إشراف السلطات المحلية ، "وإلغاء الدوائر العربية في الوزارات والدوائر الرسمية ، هذه الدوائر التي تعتبر رمزا للتمييز وتعرقل اندماج العرب في حياة الدولة :"[١٥] أما الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة فقد تأسست سنة ١٩٧٧ من الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكح) ومنظمة "الفهود السود" ورؤساء سلطات محلية عربية ولجنة المبادرة الدرزية وأوساط اخرى . لقد جاء في برنامج الجبهة أن الجبهة ستعمل "من أجل المساواة في الحقوق القومية والمدنية للجماهير العربية في اسرائيل" . كذلك جاء في البرنامج أن الجبهة ستعمل "من أجل السلام العادل والثابت بين دولة إسرائيل والدول العربية . تعمل قائمة الجبهة على تغيير السياسة الإسرائيلية الرسمية ولمنع حرب جديدة ولاستئناف عقد مؤتمر جنيف باشتراك جميع الأطراف المعنية بالنزاع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية . ومن أجل حدود سلام معترف بها وآمنة بين دولة إسرائيل والدول العربية . وتكون هذه الحدود خط الرابع من حزيران ١٩٦٧ التي على إسرائيل الانسحاب اليها . ومن أجل الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة إلى جانب دولة اسرائيل ذات السيادة . . . ."[١٦] لقد فازت الجبهة بخمسة مقاعد (من مجموع ١٢٠) في انتخابات الكنيست سنة ١٩٧٧ وبأربعة مقاعد في انتخابات ١٩٨١ وانتخابات ١٩٨٤ .

أما التنظيمات غير الاندماجية فلا تعترف "بالكيان الصهيوني" ولا تتعاون مع السلطات الحكومية ، وكتعبير لذلك فهي ترفض المشاركة في الانتخابات البرلمانية . إن أهم هذه التنظيمات هي حركة "أبناء البلد" التي تأسست في أوائل السبعينات ، في الأصل كقائمة انتخابية لمجلس محلي أم الفحم ثم أقيمت قوائم انتخابية محلية مشابهة ، تحمل أسماء مختلفة ، في قرى عربية عديدة في المثلث والجليل . إن ظهور حركة أبناء البلد كقوائم انتخابية للسلطات المحلية العربية وعدم بناء تنظيم قطري مركزي يرجع إلى تخوّف أعضاء الحركة من المصير الذي وصلت إليه حركة "الارض" في أواسط الستينات ، عندما أصدر وزير الدفاع أمرا بحلها حال إعلانها عن نفسها كتنظيم سياسي .[١٧] مع أن أبناء البلد هي مجموعة من الحركات المحلية الصغيرة إلا أن هنالك تنسيقا بين هذه الحركات وخطوطا أيديولوجية عريضة متفق عليها فهي تركز على "أن الإنجاز التام للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وتحرّر الجماهير اليهودية الاجتماعي . . . لا يتم إلا بتحقيق النضال لمهمة توحيد الوطن وإقامة النظام الاشتراكي الذي يضمن الحقوق الوطنية لشعبنا والحقوق القومية للجماهير اليهودية دون أي شكل من التمييز" .[١٨] تختلف حركة أبناء البلد عن حركة الأرض في أن الأخيرة كانت حركة قومية عربية بينما أبناء البلد هي حركة وطنية فلسطينية تؤمن "أن الجماهير الفلسطينية في إسرائيل تمثل جزءاً من الشعب الفلسطيني ونضالها يمثل جزءاً من مجمل النضال الفلسطيني" .[١٩] وأن أي حل مرحلي للقضية الفلسطينية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار "الحقوق الوطنية والديمقراطية للجماهير

الفلسطينية في إسرائيل" .[٢٠] بعكس التنظيمات الاندماجية التي تدعو الفلسطينيين في إسرائيل ، بصفتهم مواطني الدولة ، إلى المشاركة في الانتخابات البرلمانية بهدف التأثير على السياسة الإسرائيلية فإن حركة أبناء البلد تدعو إلى مقاطعة هذه الانتخابات كتعبير لعدم اعترافها بالدولة الصهيونية وبمؤسساتها . أما بالنسبة لشعبية هذه التنظيمات فإن التنظيمات الاندماجية ، ممثلة بلجنة رؤساء السلطات المحلية العربية والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ، هي الأكثر نفوذا بين الجماهير العربية في إسرائيل .

هنالك أيضا تنظيمات عربية تشكل ساحات صراع بين الجبهة وبين حركة أبناء البلد أهمها اللجان الطلابية العربية في الجامعات الإسرائيلية واللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي . أولى لجان الطلاب العرب تأسست سنة ١٩٥٩ في الجامعة العبرية في القدس لحل المشاكل الخاصة التي تواجه الطلاب العرب في تلك الجامعة كمشاكل السكن والعمل والتكيّف لحياة الجامعة . إلا أنه كانت للجنة اهتمامات سياسية أيضا فقد عقدت اجتماعات احتجاجية واشتركت في عدة مظاهرات ضد تطبيق الحكم العسكري (قبل ١٩٦٦) ومصادرة الأراضي والاعتقالات الإدارية . في أوائل السبعينات أقيمت لجان مشابهة للطلاب العرب في جامعات حيفا وتل أبيب وبارايلان ومعهد "التخنيون" . عملت هذه اللجان على توثيق العلاقة بينها فأقامت اتحاد لجان الطلاب العرب سنة ١٩٧٥ الذي تحوّل إلى الاتحاد القطري للطلاب الجامعيين العرب سنة ١٩٧٧ . لقد قام الاتحاد ، مثله مثل لجان الطلاب في الجامعات المختلفة ، بنشاطات سياسية متعددة فشارك في النضال ضد سياسة التمييز العنصري المتمثلة بمصادرة الأراضي وضد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة .

منذ ١٩٧٧ تنافست كتلتان على السيطرة على الاتحاد القطري للطلاب الجامعيين العرب وعلى لجان الطلاب العرب الفرعية وهما جبهة الطلاب العرب ، وهي كتلة طلابية بقيادة الحزب الشيوعي ، والحركة الوطنية التقدمية ، وهي امتداد لحركة أبناء البلد . لقد سيطرت الجبهة على الاتحاد القطري منذ تأسيسه وعلى اللجان الطلابية الفرعية أيضا في أغلب الأحيان (سيطرت الحركة الوطنية على لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية سنة ١٩٧٨ وعلى لجنة الطلاب العرب في جامعة بئر السبع سنة ١٩٨٠) . منذ ١٩٨٤ توحدت جبهة الطلاب العرب والحركة الوطنية التقدمية في كتلة واحدة أمام "خطر" الحركة التقدمية للسلام ، وهي قائمة عربية يهودية ظهرت في الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي لم تجتز النصاب القانوني في انتخابات الاتحاد القطري أو أيّ من اللجان الطلابية الفرعية .

أما بالنسبة لِلّجنة القطرية للدفاع عن الأراضي فقد تأسست في أوائل ١٩٧٥ بهدف مقاومة مصادرة الأراضي العربية . أقيمت هذه اللجنة كتنظيم شعبي بمبادرة الحزب

الشيوعي الإسرائيلي وانضمت اليها قطاعات أخرى مثل أبناء البلد وعناصر مستقلة . مع أن أغلب أعضاء اللجنة كانوا دائما من مؤيدي الحزب الشيوعي ، فيما بعد الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ، إلا أن اللجنة شكلت أحيانا ساحة صراع بين الجبهة وأبناء البلد . في سنة ١٩٧٦ ، وقبيل يوم الارض ، رفضت اللجنة طلب ممثلي أبناء البلد القيام بمظاهرة جماهيرية أمام الكنيست ، وبدل ذلك قررت بالأغلبية دعوة الفلسطينيين العرب في إسرائيل إلى القيام بإضراب شامل في "يوم الأرض" ، الذي تقرر أن يكون في ٣٠ آذار من تلك السنة . لقد استجابت الجماهير العربية لهذا القرار ، ولأول مرة عمّ الإضراب كل المدن والقرى العربية . لقد رافق الإضراب الشامل مظاهرات صاخبة في أغلب التجمعات العربية كان أعنفها في قرى سخنين وعرابة ودير حنا في الجليل حيث منع السكان قبل ذلك بشهر ونصف من دخول أراضيهم في منطقة "الملّ" . لقد احضرت السلطات قوات كبيرة من الشرطة وحرس الحدود لكسر الإضراب ولتفريق المظاهرات ، الأمر الذي أدي إلى استشهاد ستة وجرح عشرات من المتظاهرين العرب برصاص قوات "الأمن" الإسرائيلية . منذ ذلك التاريخ أصبح يوم الأرض مناسبة وطنية ورمزا لتمسك الإنسان الفلسطيني بأرضه ووطنه .

لقد أوضحنا أنه في العقد الأخير حدثت هنالك عدة تطورات ، بعضها خارجية وأخرى داخلية ، عملت على تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية بين الفلسطينيين العرب في إسرائيل . انعكس ذلك في تغيير نمط تصويت العرب في انتخابات الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) منذ ١٩٧٣ . في حين أن القوائم العربية المرتبطة بالسلطة قد فازت خلال العقدين الأول والثاني لقيام اسرائيل بالنصيب الأكبر من الأصوات العربية فإن الحزب الشيوعي (فيما بعد الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) قد تقدم قليلا على (أو على الأقل تعادل مع) القوائم العربية في انتخابات ١٩٧٣ وفاز عليها فوزا ساحقا منذ ١٩٧٧ فأصبح أكثر الأحزاب والقوائم الانتخابية نفوذا بين الجماهير العربية . في انتخابات الكنيست سنة ١٩٥٥ ، مثلا ، فازت القوائم العربية ب ــ ٥٨٪ وفاز الحزب الشيوعي ب ــ ١٦٪ من الأصوات العربية ، أما في انتخابات الكنيست سنة ١٩٨١ فقد انعكست الصورة إذ فازت القوائم العربية بـــ ١٣٪ والجبهة بـــ ٣٨٪ «انظر الجدول» .

جدول
توزيع الأصوات العربية في انتخابات الكنيست بين القوائم المختلفة (نسب مئوية)[٢١]

الكنيست	نسبة المصوتين من مجموع أصحاب حق التصويت	الحزب الشيوعي أو الجبهة	القائمة التقدمية	حزب التجمع[أ]	القوائم العربية	الأحزاب الصهيونية الأخرى
الكنيست الأولى في ١٩٤٩/١/٢٥	٧٩	٢٢		١٠	٥٢	١٦
الكنيست الثانية في ١٩٥١/٧/٣٠	٨٦	١٦		١٧	٥٥	١٢
الكنيست الثالثة في ١٩٥٥/٧/٢٦	٩٢	١٦		٢٠	٥٨	٦
الكنيست الرابعة في ١٩٥٩/١٢/٣	٨٩	١١		٢٠	٥٩	١٠
الكنيست الخامسة في ١٩٦١/٨/١٥	٨٦	٢٢		٢٥	٤٦	٧
الكنيست السادسة في ١٩٦٥/١١/٢	٨٨	٢٤		١٩	٤٣	١٤
الكنيست السابعة في ١٩٦٩/١٠/٢٨	٨٢	٣٠		١٤	٤١	١٥
الكنيست الثامنة في ١٩٧٣/١٢/٣١	٨٠	٣٧		١٠	٣٦	١٧
الكنيست التاسعة في ١٩٧٧/٥/١٧	٧٦	٥٠		٩	٣٢	١٩
الكنيست العاشرة في ١٩٨١/٦/٣٠	٧٠	٣٨		٢٦	١٣	٢٣
الكنيست الحادية عشرة في ١٩٨٤/٧/٢٣	٧٢	٣٣	١٨	٢٤	-	٢٥

(أ) "التجمع" يعني أحزاب مباي ومبام وأحدوت هعفودا .

على الرغم من أن مطالب الجبهة بالنسبة للجماهير العربية في إسرائيل تميل الى الدّمج ، أي منح المواطنين العرب حقوقاً قومية ومدنية متساوية ودمجهم في حياة الدولة ، فإن زيادة التصويت إلى الجبهة هي مؤشر لازدياد الوعي الوطني الفلسطيني وذلك بسبب موقف الجبهة الثابت من القضية الفلسطينية ، فهي لا تزال تصر على ضرورة "الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة في الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة إلى جانب دولة إسرائيل ، وعقد مؤتمر دولي برعاية هيئة الامم المتحدة وباشتراك كل الأطراف المتعلقة بالنزاع بما في ذلك إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، وكذلك الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ودول أخرى" .[٢٢] كذلك فانخفاض نسبة المصوتين العرب من مجموع أصحاب حق التصويت قد يكون مؤشراً آخر لازدياد الوعي الوطني الفلسطيني ، لا سيما وأن هنالك جماعات أهمها "أبناء البلد" تدعو المواطنين العرب إلى مقاطعة الانتخابات للكنيست كتعبير لعدم الاعتراف "بالكيان الصهيوني" . وفي حين أن

٨٦٪ من أصحاب حق التصويت العرب قد مارسوا حقهم في التصويت سنة ١٩٥١ فإن نسبة التصويت قد انخفضت الى ٧٠٪ سنة ١٩٨١ والى ٧٢٪ سنة ١٩٨٤ .

في الانتخابات للكنيست الأخيرة التي جرت في تموز ١٩٨٤ اختفت تماما القوائم العربية المرتبطة بالأحزاب الصهيونية . إن ذلك يعكس فشل القيادة التقليدية التي ارتكزت على أطر ضيقة ، أهمها العائلة والطائفة والمنطقة الجغرافية ، وفشل السياسة الإسرائيلية التي دعمت هذه القيادة . بالمقابل ظهرت في الانتخابات الأخيرة قائمة جديدة منافسة للجبهة هي "القائمة التقدمية للسلام" . على الرغم من أن القاسم المشترك لزعماء هذه القائمة هو معاداة الحزب الشيوعي والجبهة إلا أنه يمكن القول بأن للقائمة التقدمية أيضا توجهاً وطنياً فلسطينياً فهي تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني وتدعو إلى التفاوض بين المنظمة وحكومة إسرائيل من أجل الوصول إلى سلام دائم . لقد أسفرت الانتخابات للكنيست الاخيرة عن فوز الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة بـ ٣٣٪ من الأصوات العربية والحركة التقدمية للسلام بـ ١٨٪ ، أي أن "المعسكر الوطني الفلسطيني" ، وهو مصطلح يستعمله الباحث إيلي ريخس ليضم الجبهة والقائمة التقدمية ،[٢٣] قد حصل على ٥١٪ من أصوات العرب بينما حصلت الأحزاب الصهيونية مجتمعة على ٤٩٪ فقط من هذه الأصوات . إن هذا الانقلاب بتوزيع أصوات العرب جعل بنيامين غور أرييه ، مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية يقول :"من الآن فصاعدا يجب أن لا نخفي الرأس في الرمال ونقول أنه لا يوجد تطرف وطني معارض لإسرائيل بين العرب في الدولة" .[٢٤] وهكذا فإن "المعسكر الوطني الفلسطيني" ، أو "المعسكر الرديكالي" كما يحلو لبنيامين غور أرييه تسميته ، قد عاد إلى ما كان عليه سنة ١٩٧٧ عندما فازت الجبهة بـ ٥٠٪ من أصوات العرب . لقد جاء تعاظم "المعسكر الوطني" في الانتخابات الأخيرة بعد التراجع النسبي الذي حدث في هذا المعسكر في انتخابات ١٩٨١ .[٢٥]

إن الوعي الوطني الفلسطيني بين الجماهير العربية لا يقتصر فقط على المصوتين للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة أو للحركة التقدمية للسلام ، فهنالك الممتنعون عن التصويت لاعتبارات أيديولوجية وخصوصا من مؤيدي حركة أبناء البلد . كذلك فالوعي الوطني بدأ ينفذ إلى بعض العرب من مؤيدي حزب "التجمع" وذلك بعد أن غيّر الحزب ركائزه التقليدية المتمثلة بسيف الدين الزعبي وجبر معدّي وغيرهما بقيادة شابة لا "تسير دائما في التلم" الذي يحدده الحزب والمتمثلة بمحمد وتد وحمد خلايلة وعبد الوهاب دراوشة . لعل تزايد نشاط اتباع حزب التجمع من العرب في اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي ولجنة رؤساء السلطات المحلية العربية وبشكل خاص مقاطعة عضو الكنيست السابق حمد خلايلة لجلسة الكنيست بمناسبة ذكرى ١٠٠ عام على الاستيطان اليهودي في

فلسطين وكذلك محاولة عضو الكنيست الحالي عبد الوهاب دراوشة المشاركة في أعمال المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في عمان هي مؤشرات لحدوث بعض التوجه الوطني عند بعض العرب من مؤيدي التجمع والمبام الصهيونيين .

مما تقدم يتضح أن الهوية الوطنية الفلسطينية قد تعزّزت ، بينما الهوية الإسرائيلية قد ضعفت ، في العقد الأخير بين الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل . في بحث ميداني أجراه المؤلف سنة ١٩٧٦ على عينة ممثلة من خريجي الجامعات العرب في إسرائيل سئل أفراد العينة الأسئلة الآتية :

- إلى أي درجة تشعر أنك إسرائيلي ؟
- إلى أي درجة تشعر أنك عربي ـ إسرائيلي ؟
- إلى أي درجة تشعر أنك عربي ؟
- إلى أي درجة تشعر أنك فلسطيني ؟

بالنسبة لكل سؤال طلب من المبحوثين اختيار إجابة واحدة من مجموع خمس اجابات مرتبه : كثيرا جدا ، كثيرا ، نوعا ما ، قليلا وقليلا جدا ، أما نتائج البحث فقد دلت على أن ٩١٪ من المبحوثين يشعرون "كثيرا جدا أو "كثيرا"أنهم عرب ، ٧٦٪ يشعرون أنهم فلسطينيون ، ٤٢٪ يشعرون أنهم عرب إسرائيليون و ٢٣٪ يشعرون أنهم إسرائيليون . وعلى سؤال "لو طلب منك أن تعرّف هويتك بكلمة واحدة أو اثنتين ماذا كنت تجيب ؟" ، أجاب ٤٠٪ من أفراد العينة "فلسطيني" أو "عربي فلسطيني" ، ٣٤٪ "عربي" ، "اسرائيلي" أو "عربي إسرائيلي" و ٧٪ "إجابة أخرى" .[٢٦] دراسات أخرى أثبتت أن تصاعد الهوية الفلسطينية وتلاشي الهوية الإسرائيلية في العقد الأخير قد شمل الجماهير العربية بقطاعاتها المختلفة في إسرائيل .[٢٧] وهكذا فإن الهوية السياسية للفلسطينيين في إسرائيل قد أصبحت في الأساس عربية فلسطينية .

لقد رافق تصاعد الهوية الفلسطينية تراجع ليس فقط في الهوية الإسرائيلية وإنما أيضا في الهويات التقليدية الضيقة وخصوصا الهوية العائلية والمحلية والدينية . في البحث المذكور الذي أجراه المؤلف على عينة من خريجي الجامعات العرب سئل المبحوثون الأسئلة الآتية :

- إلى أي درجة تشعر أنك تنتمي إلى حمولتك ؟
- إلى أي درجة تشعر أنك تنتمي إلى قريتك أو مدينتك ؟
- إلى أي درجة تشعر أنك مسلم أو مسيحي أو درزي ؟

بالنسبة لهذه الأسئلة أيضا طلب من المبحوثين اختيار إجابة واحدة من مجموع خمس إجابات مرتبة . لقد دلّت النتائج على أن هذه الهويات التقليدية ضعيفة بشكل عام ،

فأجاب ٥٣٪ من أفراد العينة أنهم يشعرون "كثيرا جدا" أو "كثيرا" أنهم ينتمون إلى قراهم أو مدنهم ، ٢٩٪ يشعرون انهم مسلمون أو مسيحيون أو دروز و ١٣٪ أجابوا أنهم يشعرون بالانتماء إلى حمائلهم . أما بالنسبة للعلاقة بين الهويات التقليدية الضيقة وبين الهويات الأكثر شمولية ، فقد وجد أن الهويات التقليدية ترتبط طرديا مع الهوية الإسرائيلية وعكسيا مع الهوية الفلسطينية ، فارتباط (Monotonicity Coefficient) الهوية العائلية ، مثلا ، مع الهوية الإسرائيلية ٠ر٦٤ ومع الهوية الفلسطينية هو ـ ٠ر٣٣ . أي أن العرب التقليديين ، الذين يعتزون بانتمائهم العائلي والمحلي والديني ، يشعرون بشكل عام أنهم إسرائيليون أو عرب ـ إسرائيليون ، أما العرب العصريون ، الذين يشعرون بأن انتماءهم إلى الجماعات التقليدية الضيقة هو ضعيف ، فيشعرون بشكل عام أنهم فلسطينيون . لعل هذا الارتباط يكشف عن هدف السلطات الإسرائيلية من وراء تشجيع الانقسامات الداخلية وتعزيز الهويات التقليدية بين الجماهير العربية . الهدف ، على الغالب ، هو محاربة الهوية الوطنية الفلسطينية وبالمقابل تعزيز الهوية المدنية الإسرائيلية بين المواطنين العرب وإحكام السيطرة عليهم . لكن هذه السياسة قد فشلت ، فالهويات التقليدية الضيقة قد ضعفت بشكل عام بين الجماهير العربية في إسرائيل والهوية الوطنية قد تعاظمت بحيث أصبح الانتماء إلى الشعب العربي الفلسطيني هو الأهم .

الخلاصة

هذه الدراسة تقودنا الى الاستنتاج أن الهوية لشخص أو لجماعة ما تتأثر بمتغيرات وأحداث اجتماعية مختلفة فهي ليست ثابتة بل قابلة للتغير من فترة إلى أخرى . بالتحديد ، حاولت أن أوضح أن هوية العرب في إسرائيل قد تغيرت من كونها في الأساس "عربية ـ إسرائيلية" في العقدين الأول والثاني لقيام إسرائيل إلى "عربية" بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ثم إلى "عربية ـ فلسطينية" بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كان من نتائج حرب ١٩٤٨ أن المواطنين العرب الذين بقوا في إسرائيل قد تم عزلهم عن العالم العربي وأن هؤلاء المواطنين ، كبقية أبناء شعبهم الفلسطيني ، قد نمى عندهم شعور الخوف والقلق والإحباط بسبب الهزيمة . بالإضافة إلى ذلك ، فرضت السلطات الإسرائيلية على المواطنين العرب نظام الحكم العسكري وعززت بينهم الانقسامات الداخلية حسب الحمولة والطائفة والمنطقة الجغرافية . لقد نتج عن ذلك أن تعزّزت الهويات التقليدية الضيقة وأن ركدت الهوية الوطنية الفلسطينية . ليس غريبا تحت هذه الظروف أن يتقبل المواطنون العرب الأمر الواقع وأن تنمو عندهم الرغبة في الاندماج وأن يعرفوا أنفسهم كذلك حسب القاموس الإسرائيلي الرسمي . في النصف الثاني للعقد

السادس ، وبعد إلغاء الحكم العسكري سنة ١٩٦٦ ونشوب حرب حزيران ١٩٦٧ ، ازداد الاتصال والتفاعل الاجتماعي بين العرب في إسرائيل وكذلك بينهم وبين بقية أبناء شعبهم وأمتهم . بفضل ذلك تعمقت بين الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل الهوية القومية العربية وانتعشت تدريجيا الهوية الوطنية الفلسطينية . أما في العقد الأخير فقد حدثت تطورات مهمة على الساحة الفلسطينية . لقد اتسع الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وصعّد الاحتلال عمليات الاضطهاد والقمع ضد هذا الشعب وارتكب بعض "الإخوه" العرب مجازر ضد الفلسطينيين كان أبشعها مجازر صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢ . وعلى الساحة الداخلية اتسع تحوّل المزارعين العرب إلى طبقة عاملة وأحيت الحكومة الاسرائيلية مشروع تهويد الجليل وظهرت تنظيمات عربية قطرية متعددة . لقد نتج عن ذلك أن تراجعت بين الجماهير العربية في إسرائيل الهوية الإسرائيلية وتعززت ، بالمقابل ، الهوية الوطنية الفلسطينية . كذلك فقد تراجعت الهويات التقليدية الضيقة وضعف انتماء الإنسان الفلسطيني في إسرائيل إلى حمولته وطائفته ومنطقته الجغرافية وأصبح انتماؤه الأهم إلى الشعب العربي الفلسطيني .

الهـــوامش

(١) هذا العدد لا يضم سكان القدس العربية التي ضمتها إسرائيل سنة ١٩٦٧ (في حدود ١١٥٫٠٠٠) نسمة سنة ١٩٨٣) انظر

Israel , Central Bureau of Statistics , **Statistical Abstract of Israel** , No . 35 ,1984 , pp . 30 – 34 .

(٢) Miller ,D . R . , "The Study of Social Relationships :Situation , Identity and Social Interca-tion" , in S . koch (ed .) , **Psychology :A study of Science** , vo1 .5 , Mc Graw Hill , New York , 1971 , p .673 .

(٣) الطابع اليهودي ـ الصهيوني يبرز في تعريف إسرائيل أنها "دولة يهودية أو "دولة اليهود" ، في "قانون العودة" الذي يمنح الحق لكل يهودي في العالم أن يتوجه إلى إسرائيل ، في ممارسة سياسة التمييز القومي ضد الواطنين الفلسطينيين وكذلك في اللغة والاعياد الرسمية وحتى في أسماء الشوارع ولافتات السير .

(٤) Landau , J . , **The Arabs in Istael** , Oxford University Press . London , 1969 , P . 186

(٥) في الكنيست الأولى أقام حزب مباي قائمة عربية واحدة . في انتخابات الكنيست الثانية وحتى انتخابات الكنيست العاشرة أقام مباي (فيما بعد "العمل" ثم التجمع") قائمتين أو ثلاث قوائم في كل معركة انتخابية . في الانتخابات الأخيرة التي جرت في تموز ١٩٨٤ لم يشكل حزب التجمع قوائم عربية ودعا المواطنين العرب للتصويت مباشرة إلى الحزب .

(٦) لفترة طويلة تزعم هذه القوائم سيف الدين الزعبي وذياب عبيد كممثلين للمسلمين وجبر معّدي كممثل للدروز والياس نخلة كممثل للمسيحيين .

(٧) حبيب قهوجي، القصة الكاملة لحركة الارض، ١٩٧٨، ص٣٣ ـ ٣٤.
لمزيد من التفاصيل عن حركة الأرض انظر أيضا
Jiryis , S . , **The Arabs in Istael** , Monthly Review press , New York , 1976 .

(٨) Peres , Y . and Yuval – Davis , N . , "Some Observations on the National Identity of the Israeli – Arab " , **Human Relations** , 22 , November 1969 , pp . 219 – 233 .

(٩) كما اقتبس في
Nakhlen , K . , "Cultural Determinants of Palestinian Collective Identity : The Case of the Arabs in Israel" , **New Outlook** ,vol . 18 , No 7 , October – November , 1975 , p . 38

(١٠) جمعت الإحصائيات من
Israel , Central Bureau of Statistics , **Statistical Abstract of Israel** , Jerusalem , No . 14 , 1963 , pp . 508 – 510 ; N0 . 17 , 1966 , pp . 312 – 315 ; No . 25 , 1974 , p . 321 ; No . 35 , 1984 , p . 350 .

(١١) Lustick , I . , **Arabs in the Jewish State** , University of Texas press , Austin , 1980 , pp . 165 – 6 .

(١٢) في الجليل الغربي مثلا منعت الحكومة المزارعين العرب من ري أراضيهم الواقعة في "سهل البطوف" على الرغم من أن "مشروع المياه القطري" الذي يوصل مياه نهر الأردن إلى صحراء النقب يمر من هذا السهل .

(١٣) Israel , Central Bureau of statistics , **Statistical Abstract of Israel** , Jerusalem , No . 35 , 1984 , pp . 33 – 34 .

(١٤) ران كسليف ، هكذا صودرت أراضي المواطنين العرب ، مركز الدراسات العربية والأفرو اسيوية — جبعات حبيبه ، ١٩٧٦ ، ص ٢٣ .

(١٥) الاتحاد ١٩٧٦/٥/٢٥

(١٦) الاتحاد ١٩٧٧/٣/٤

(١٧) انظر :
Jiryis , S . , "The Arabs in Israel , 1973 – 79" , **Journal of Palestine Studies** , 4 , Summer 1979 , p . 40 .

(١٨) حركة أبناء البلد ، مشروع البرنامج السياسي ، ١٩٨٣ ، ص ٣٠

(١٩) نفس المصدر ، ص ٣٠

(٢٠) نفس المصدر ، ص ٣٩

(٢١) البيانات بالنسبة للكنيست الأولى والثانية أخذت من
Landau , J . , **The Arabs in Israel** , Oxford University Press , London , 1969 , pp . 110 – 115 .
نتائج الانتخابات للكنيست الثالثة وحتى الكنيست العاشرة جمعت من

Israel, Central Bureau of Statistics, **Results of the Elections to the Third Knesset. . . .**, Special Series No. 51, 1956, p. 13; **Results of the Elections to the Fifth Knesset . . . . .**, Special Series No. 166, 1964, pp. 20-25; **Results of the Elections to the Sixth Knesset. . . .**, Special Series No. 216, 1967, pp. 96-103; **Results of the Elections to the Seventh Knesset. . . .**, Special Series No. 309, 1970, pp. 60-62; **Results of the Elections to the Tenth Knesset . . .**, Special Series No. 680, 1981.

نتائج الانتخابات للكنيست الحادية عشرة أخذت من "معاريف" ١٩٨٤/٨/٦

(٢٢) انظر "النظام الداخلي للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة" ، الاتحاد ١٩٨٥/١/١٨

(٢٣) إيلي ركس ، الانتخابات الإسرائيلية للكنيست ال ١١ في الوسط العربي ، الفجر ١٩٨٤/١٢/١

(٢٤) "معاريف" ١٩٨٤/٨/٦

(٢٥) يتمثل التراجع في "المعسكر الوطني" سنة ١٩٨١ بانخفاض نسبة المصوتين الى الجبهة من ٥٠٪ سنة ١٩٧٧ الى ٣٨٪ سنة ١٩٨١ . أما أسباب هذا التراجع فأهمها :

أ ـ تصويت بعض العرب إلى حزب التجمع أو للقوائم العربية المرتبطة به رغبة منهم في إسقاط حزب الليكود ، متأثرين في ذلك بدعاية حزب التجمع الانتخابية التي ركزت على خطر فوز حزب الليكود المتطرف والمعادي للعرب .

ب ـ ارتفاع نسبة غير المصوتين من ٢٤٪ سنة ١٩٧٧ الى ٣٠٪ سنة ١٩٨١ إذ أن نسبة لا بأس بها من هؤلاء هم ممتنعون عن التصويت لاعتبارات وطنية .

(٢٦) لمزيد من التفاصيل انظر

Miari, M., **Identity of the Arab Academics in Israel,** Institute of Applied Social Research, Jerusalem, 1978, pp. 45-71.

(٢٧) راجع مثلا :

Smooha, S. and Peretz, D., "The Arabs in Israel**The Journal of Conflict Resolution,** 26, September 1982, pp. 451-484.

Tessler, M.A., "Israel's Arabs and the Palestinian Problem". **The Middle East Journal,** Summer 1977, pp. 313-329.

REFERENCES

(1) Haddad, S. Mc Laurin, R. D. and Nakhleh, E.A. "Minorities in Containment. The Arabs in Israel." in R.D. Mc Laurin (ed.), **The Political Role of Minority Groups in the Middle East,** Praeger, New York, 1979.

(2) Hofman, J., "Readiness for Social Relations between Arabs and Jews in Israel". **The Journal of Conflict Resolution.** 16 June, 1972.

(3) -------: "Social Identiti and Readiness for Social Relations between Jews and Arabs in Israel." **Human Relations,** 35, 1982.

(4) Mansour, S., "Identity Among Palestinian Youth : Male and Female Differentials." **Journal of Palestine Studies,** 4, Summer 1977.

(5) Miari, M., "On the Political Identity of the Educated Arabs in Israel," in A. Hareven (ed.), **Every Sixth Israeli,** Van Leer Jerusalem Foundation, 1983.

(6) Migdal, J.S., **Palestinian Society and Politics,** Princeton University press, 1980.

(7) Nakhleh, K., "Anthropological and Sociological Studies on the Arabs in Israel: A Critique." **Journal of Palestine Studies,** 6, Summer 1977.

(8) Peres, Y., "Modernization and Nationalism in the Identity of the Israeli-Arab." **Middle East Journal,** 24, Autmun 1970.

9) ------: "Ethnic Relations in Israel." **American Journal Of Sociology, 76, May 1971.**

(10) Smooha, S. and Hofman, J.E., "Some Problems of Arab-Jewish Coexistence in Israel," Middle East Review, Winter 1976/1977.

(11) Smooha, S. and Peretz, D., "The Arabs in Israel." **The Journal of Conflict Resolution,** 26, September 1982.

(12) Zayyad, T., "The Fate of the Arabs in Israel:" **Journal of Palestine Studies,** 6, Autumn 1976.

The Development of Political Identity of the Palestinians in Israel

Mahmoud Mi'ari

This paper suggests that political identity of the Palestinian in Israel has changed from being predominantly Israeli-Arab, after the establishment of Israel, into predominantly Arab, after the June War of 1967, and again into predominantly Palestinian-Arab, after the October War of 1973.

After the war of 1948 the Palestinians who remained in Israel were demoralized, leaderless and isolated from the Arab world. Accepting the new reality and willing to assimilate within Israeli society, the Palestinian Arabs in Israel tended to define themselves during the first and second decades of the establishment of Israel as Israeli-Arab. In the late sixties, after the abolition of the military government in 1966 and the Arab Israeli war of June 1967, social contact and interaction have increased among the Arabs in Israel and bewtween them and the other Palestinians in the West Bank and Gaza Strip. As a result, Arab identity became predominant and Palestinian identity had revived after 1967. In the last decade several developments have occurred: the international recognition of the Palestinians' right to self-determinartion, Israel's aggression against the Palestinians especially in Lebanon and the massacres of Palestinians at the hands of some Arabs. These developments, in addition to other internal developments, have strongly intensified Palestinian identity emong Palestinian Arabs in Israel after October War of 1973.